

مصائب .. مصائب

بقلم : ا. عبد الحميد عبد المقصود
 رسوم : ا. إسماعيل دياب
 إشراف : ا. حمدي مصطفى



واصل الخياط المتهم بقتل مهرج ملك الصين الأحدب ، حكاية الشاب الأعرج ، الذى قابله فى الوليمة مع حلاق (بغداد) قائلاً :
- جمع حلاق (بغداد) كل ما فى منزل الشاب المسكين من طعام وحلوى وفاكهة ، ليحمله إلى ثلة أصدقائه المشردمين ، وأصر على اصطحاب الشاب معه ، حتى يعرفه بأصدقائه الصغار ..

وحاول الشاب المسكين مراوغة والتخلص منه ، حتى ينجو منه ، ويتخلص من فضوله وثرثرته وثقل ظله ، حتى يتمكن من الذهاب إلى مواعده ، لكن الحلاق حاصره بقوة :
لن أتركك تمضي وحداك ..

وواصل الشاب المسكين حكايته قائلاً : لما رأيت إصراره على اصطحابي قلت له : المكان الذى أنا ذاهب إليه لا يستطيع أن يدخله أحد غيري ..

فلما سمع ذلك السمج كلامي ، ابتسم مستخفاً ، وقال لى فى دهاء : الآن فهمت كل شيء .. أنت على موعد مع فتاة ، وإلا لكنت أخذتني معك .. أنا أولى من جميع الناس بالذهاب معك ،



حتى أستهل لك خطبتها ، إن كنت ترغب في
الزواج منها ..

فقلت له : استكث ولا تدخل نفسك ، فيما لا يعنك ، حتى لا تستمع
ما لا يرضيك ..

فسكت ذلك المشئوم سكوناً طويلاً ، وانشغل بحلاقة شغرى ،
حتى أدن المؤذن لصلاة الجمعة ، وبدأت الخطبة ، فأنتهى من
حلاقة رأسى ، فقلت له مخادعاً :

خذْ هذا الطَّعامَ ، وامضْ به إلى أصحابك ، وسوف أنتظركَ حتى
تعودَ وتذهبَ معي ..

فقالَ لي : أَنْتَ تُحاولُ خِدايَ ، حتى تذهبَ وحُذِّكَ ، وتُرمى
بِنَفْسِكَ في مُصيبَةٍ لا خلاصَ لكَ مِنها ، قَربَما كانتِ الفتاةُ التي
أنتَ ذاهِبُ لِخِطْبَتِها دَمِيمَةً .. وَربَّما

فقاطَعْتُه قائلًا وأنا لا أَقصدُ سِوَى خِدايهِ : اذهبْ ولكنْ
لا تتأخَّرْ عَلَيَّ ، وأعدْكَ ألا أذهبَ بِدونِكَ ..

ويَبدو أَنَّهُ كانَ غيرَ واثقٍ مِن وَعْدِي لَهُ ، لأنَّهُ أَخَذَ كُلَّ ما أُعْطِيَتْهُ
إِيَّاهُ مِن طَعامٍ وخَرَجَ مِن عِندِي فَسَلَّمَهُ لِلْحِمَالِ وَأَوْصَاهُ أَنْ
يُوصِلَهُ لِبَيْتِهِ ، ثُمَّ اخْتَفَى فِي أَحَدِ الْأَزْقَةِ ، حَتَّى لا أَرَاهُ ..

أَما أَنَا فَمَا صَدَّقْتُ أَنَّهُ رَحَلَ ، حَتَّى نَهَضْتُ ، فَارْتَدَيْتُ فَاخِرَ
ثِيَابِي ، وَسَارَعْتُ بِالْخُرُوجِ قاصِدًا بَيْتَ قاضِي الْقَضَاةِ ، حَتَّى
أَسْتَطْلِعَ رَأْيَ الْفَتَاةِ ، قَبْلَ مُقَابَلَةِ أَبِيهَا وَخِطْبَتِهَا مِنْهُ ..

سِرْتُ فِي الشَّوَارِعِ وَالْأَزْقَةِ ، غَيْرَ مُصَدِّقٍ بِنِجَاتِي مِنْ ذَلِكَ
الْقُضُولِيِّ ، حَتَّى وَصَلْتُ إِلَى بَيْتِ قاضِي الْقَضَاةِ ، فَوَجَدْتُ الْبَابَ
مَفْتُوحًا ، فَنَظَرْتُ خَلْفِي ، وَرَأَيْتُ ذَلِكَ الشَّيْطَانَ يَتَّبِعُ أَثَرِي ،



فَكِدْتُ أَصْنَعُ مِنَ الدَّهْشَةِ ، وَحَتَّى أَتَخَلَّصَ
 مِنْ قُضُولِهِ اخْتَفَيْتُ دَاخِلَ الْبَيْتِ ، وَلَمْ أَكْذُ أَفْعَلُ ذَلِكَ ، حَتَّى عَادَ
 قَاضِي الْقَضَاةِ إِلَى مَنْزِلِهِ مِنَ الصَّلَاةِ ، وَأَغْلَقَ بَابَ الْبَيْتِ خَلْفَهُ ..
 وَهَكَذَا أَصْبَحْتُ مَحْبُوسًا دَاخِلَ الْبَيْتِ ، وَأَنَا لَا أَرَى مَاذَا تَحْبُّهُ
 لِي الْمَقَادِيرُ ..

أَمَّا ذَلِكَ الْقُضُولِيُّ فَقَدْ ظَلَّ وَاقِفًا يَنْتَظِرُ خَارِجَ الْبَيْتِ ،

وَلَيْتَ اللَّهُ كَانَ قَدْ قَصَفَ أَجَلَهُ ، قَبْلَ أَنْ يَحْدُثَ مَا حَدَثَ ..

وَيَبْدُو أَنْ كُلَّ شَيْءٍ كَانَ مُدَبَّرًا صِدْقِي ، لَأَنَّ أَحَدَ الْخَدَمِ بِالثَّبِيتِ
قَدْ أَخْطَأَ أَمَامَ سَيِّدِهِ ، فَأَمْسَكَ قَاضِي الْقَضَاةِ بِسَوِّطِهِ ، وَأَنهَالَهُ
عَلَيْهِ ضَرْبًا ، وَأَخَذَ الْخَادِمُ يَصْرُخُ مِنَ الْآلَمِ مُسْتَغِيثًا بِشِدَّةٍ ..

وَمَا حَدَثَ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ ذَلِكَ الْحَلَّاقُ الْمَشْتُومُ ، اعْتَقَدَ أَنَّ قَاضِي
الْقَضَاةِ يَضْرِبُنِي أَنَا ، فَمَرَّقَ ثِيَابَهُ ، وَأَهَالَ الثَّرَابَ عَلَى رَأْسِهِ ،
وَأَخَذَ يَصْرُخُ مُسْتَغِيثًا ، حَتَّى جَمَعَ النَّاسَ حَوْلَهُ ، فَلَمَّا سَأَلُوهُ
عَنْ سَبَبِ صَرَاحِهِ قَالَ لَهُمْ :

‘ قَتَلَ قَاضِي الْقَضَاةِ سَيِّدِي .. قَتَلَ قَاضِي الْقَضَاةِ سَيِّدِي ..

ثُمَّ أَخَذَ يَصِيحُ مُوَلِّوًا ، وَالنَّاسُ يَصْرُخُونَ مَعَهُ :

وَأَقْتِيْلَاهُ .. وَاسَيِّدَاهُ ..

فَلَمَّا سَمِعَ قَاضِي الْقَضَاةِ ذَلِكَ ، فَتَحَ مُسْتَطْلِعًا مَا يَحْدُثُ
بِالْخَارِجِ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ الْأَضْمَقَ يَصْرُخُ مَمَرَّقَ الثِّيَابِ ، قَالَ
مُسْتَفْسِرًا :

مَاذَا حَدَثَ ؟ وَلِمَذَا كُلُّ هَذَا الصَّرَاحِ وَالْعَوِيلِ ؟

فَقَالَ لَهُ ذَلِكَ الْمَشْتُومُ : لَأَنَّكَ قَتَلْتَ سَيِّدِي ..



فَقَالَ قَاضِي الْقَضَاةِ فِي دَهْشَةٍ : وَمَاذَا فَعَلَ

سَيِّدُكَ ، حَتَّى أَقْتُلَهُ ۱۹

فَقَالَ ذَلِكَ الْمَشْتُومُ : لَقَدْ ضَرَبْتُهُ بِالْمِقَارِعِ ، مُنْذُ قَلِيلٍ ، وَلَقَدْ

سَمِعْتُ صِيَاحَهُ وَاسْتِغَاثَتَهُ مِنْ هُنَا ..

فَرَادَتْ دَهْشَةُ قَاضِي الْقَضَاةِ وَقَالَ :

وَمَا الَّذِي أَدْخَلَهُ دَارِي ، حَتَّى أَقْتُلَهُ - كَمَا تَزْعُمُ ۱۹

فقال ذلك المَسْنُومُ في غباء :

لا تكن شيخاً أحقق يا قاضي القضاة ، فأنا أعلم أنه جاء
لمقابلة ابنتك ، قبل أن يتقدم لخطبتها منك .. لقد دخل سيدي
دارك منذ قليل ، وأنا واثق أنك قتلتَه ، إن لم تُخرجه لنا شكوتك
إلى والي (بغداد) ..

فشعر قاضي القضاة بالخجل من الناس ، واستنصر حلاق
الشؤم قائلاً :

هيا ادخل وأسرع بإخراج سيدي ، حتى لا تضطرتني إلى
الدخول وإخراجه بنفسى ، أمام هؤلاء الشهود ..

فقال قاضي القضاة :

إذا كنت واثقاً أن سيدك بالداخل ، فادخل أنت وأخرجه بنفسك ..
فأسرع ذلك الحلاق المَسْنُومُ بالدخول إلى دار قاضي القضاة ،
وراح يجوبها باحثاً عنى ..

فلما رأيته مصيراً على العُثُور على ، حاولت الهرب ، لكننى لم
أقدر لكثرة الزحام بالخارج ، فأسرعت بالصعود إلى الطابق
العلوى ، ورأيت صندوقاً كبيراً ، فاخترأت بداخله ، وجذبت



غِطاء الصُّندوقِ على ، كلُّ هذا ولم أرَ الفتاة ، ولا تحدثتُ إليها
بكلمة واحدة ..

واستمرُّ بحثُ ذلك الفضوليِّ عني ، حتى وصل إلى الطَّابقِ
العلويِّ ، ولما رأى الصندوقَ حمله ليُنزل به ، وهو يصيحُ :
وجدته .. وجدته .. وجدتُ سيدي داخلَ هذا الصندوق ..
فلما علمتُ أنه لن يتركني ، فتحتُ غِطاءَ الصندوق ، وقفرتُ منه ،
فكسرتُ ساقي ، وعندما توجهتُ إلى البابِ لأخرج ، وجدتُ خلقًا كثيرًا ،

فاخترقتُ الرِّحَامَ ، وظللتُ أجرى ، وأنا أجرُ ساقى المكسورة ،
وكُلِّمَا دخلتُ رُقَاقًا دخلَ ذلك الحَلَّاقُ المَشْتُومُ خَلْفِي ، وهو
يَصِيحُ :

أرادوا أَنْ يَفْجَعُونِي فِيكَ يَا سَيِّدِي ، ولكنَّ اللَّهَ نَصَرَنِي عَلَيْهِمْ ،
حتى خَلَّصْتُكَ مِنْ أَيْدِيهِمْ قَبْلَ أَنْ يَقْتُلُوكَ .. ثُمَّ أَخَذَ يُعَاتِبُنِي قَائِلًا :
هَلْ رَأَيْتَ يَا سَيِّدِي نَتِيجَةَ تَسْرُعِكَ ؟ أَلَمْ أَنْصَحْكَ بِعَدَمِ التَّسْرُعِ ،
وَأَقُلَّ لَكَ إِنَّ فِي الْعَجَلَةِ النَّدَامَةَ ؟!

أَلَمْ أَلَحْ عَلَيْكَ لِتَأْخُذْنِي مَعَكَ ؟! لَوْلَا أَنْ سَاقَنِي اللَّهُ إِلَيْكَ فِي
الْوَقْتِ الْمُنَاسِبِ ، مَا كُنْتَ خَرَجْتَ مِنْ هَذِهِ الْمُصِيبَةِ إِلَّا جُثَّةً
هَامِدَةً خَامِدَةً الْأَنْفَاسِ ..

وسكتَ حتى يَلْتَقِطُ أَنْفَاسَهُ ، ثُمَّ صَاحَ قَائِلًا فِي خَبْلَاءِ :
ادْعُ اللَّهَ ، وَاطْلُبْ مِنْهُ أَنْ يُمِدَّ فِي عُمْرِي ، حتى أَكُونَ بِجِوَارِكَ
دَائِمًا ، وَاخْلُصْكَ مِنْ كُلِّ مُصِيبَةٍ تَلْقَى نَفْسَكَ فِيهَا بِسُوءِ تَذْيِيرِكَ ..
فَلَمْ أَسْتَطِعِ السُّكُوتَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ ، وَانْفَجَرْتُ قَائِلًا لَهُ فِي غَيْظٍ :
أَمَا كِفَاكَ مَا جَرَى لِي بِسَبَبِكَ ، وَمَا جَرَرْتَهُ عَلَيَّ بِفَضُولِكَ مِنْ
مَصَائِبَ حَتَّى تَجْرِيَ خَلْفِي فِي الْأَرْقَةِ وَالشَّوَارِعِ ؟!



وصرْتُ أتمنى الموت حتى اتخلص من ذلك الفضولي ، لكنني لم
أجد موتاً يُقَدِّني منه .

وتمكَّنتُ من الفرار منه في النهاية ، فدخلتُ دُكاناً بالسُّوق ،
واستجرتُ بصاحب الدُكان ، فاجاربنى منه ، وجلستُ في مخزن
صاحب الدُكان ، وأخذتُ أفكرُ فيما حدث لي ، فهانتُ على نفسي ،
وقلتُ في كمدٍ وغيظٍ :

ذلك الحلاقُ مُصرٌّ على قتلِي كمدًا .. لن أستطيعَ منه فرارًا بعدُ

الآن ، بل إنه سيقيم عدي ليل نهار ، وأما لا أستطيع النظر في وجهه البغيض ..

وبعد تفكير طويل قلت في نفسي :

ليس هناك سوى حل واحد ، حتى أتخلص من ذلك الحلاق اللزج كالدباب ، وهو أن اسمع داري ودكاني وتجارتى وكل أملاكي ، وأرحل عن (بغداد) .

وعندما استراح قلبي إلى هذا الحل ، قررت أن أبعد هورا . وهكذا بغت كل أملاكي ورحلت عن (بغداد) مُرتحلاً ومُسافراً في البلاد ، حتى جئت إلى بلاد الصين ، ودعيت إلى هذه الوليمة العامة ، وهذا أرى ذلك اللزج البغيض امامي ، ولهذا قررت الامتناع عن مشاركتكم في هذه الوليمة ، لما رايت ذلك الحلاق البغيض جالسا بينكم ، بعد فعل ما فعل بي ، وكان السبب في عرجي ، وكسر ساقي .

ولما انتهى الشاب الأعرج من رواية حكايته مع حلاق (بغداد) وما جرى له بسبب فضوله وثرثرته ، نظر الحاضرون إلى الحلاق وسألوه :



هَلْ كُلُّ مَا قَالَهُ ذَلِكَ الشَّابُّ عَنْكَ صَحِيحٌ أَيُّهَا الثَّرَثَارُ كَثِيرَ الْكَلَامِ ؟

فَضَحِكَ حَلَّاقٌ (بَعْدَادٌ) وَقَالَ :

لَقَدْ فَعَلْتُ ذَلِكَ حَتَّى أُنْقِذَهُ مِنْ مُصِيبَةٍ كَانَ مُقْبِلًا عَلَيْهَا ، وَلَوْ لَا
أَنْتَ فَعَلْتُ ذَلِكَ لَهْلَكَ .. لَقَدْ نَجَّاهُ اللَّهُ بِي ، فَلِيَحْمَدِ اللَّهُ عَلَى أَنْتَى
كُنْتُ قَلِيلَ الْكَلَامِ ، فَكَسَرْتُ رِجْلَهُ ، وَلَوْ أَنْتَى كُنْتُ ثَرَثَارًا ، كَثِيرَ
الْكَلَامِ .. كَمَا يَزْعُمُ .. لَهْلَكَ وَكَانَ الْآنَ فِي عِدَادِ الْأَمْوَاتِ ..

فتعجب الجميع ، وقال الشاب الأعرج مُستنكراً :

أنتَ قليلُ الكلامِ ؟

فقال الحلاقُ في تبجُّحٍ :

نعم ، وسوف أدلُّكم على أني قليلُ الكلامِ ، وليسَ عِدي
فُضُولٌ - مثلُ بقيةِ إخوتي السَّنة - بهذه القِصةِ التي وقعتُ لي
أنا شخصياً ..

فأنصتَ الحاضرون وبدأ حلاقُ (بغداد) يروي قصته قائلاً :

كُنْتُ في (بغداد) في عهدِ الخليفة (المنتَصِر بالله) وكان ذلك
الخليفة يُحبُّ الفقراءَ والمساكينَ ، ويُجالِسُ العلماءَ والصالحينَ ..
وذاتَ يومٍ غضِبَ الخليفةُ على عشرةِ أشخاصٍ ، فأمرَ والي
(بغداد) أنْ يأتِيَهُ بهم في زورقٍ .. فلما رأيتُهم في الزورقِ قلتُ
في نفسي : ما اجتمع هؤلاء الأشخاصُ في ذلك الزورقِ ، إلا من
أجلِ عُرُومةٍ ، ولا بدُّ أنَّهُم سيقضونَ يومَهُم في أَكلِ فَاخِرِ الطَّعامِ ..
واللهِ لا يكونُ نديمُهُم غَيْرِي ..

وهكذا نزلتُ معهم في الزورقِ .. وبعدَ قليلٍ جاءَ الحُرَّاسُ
بالقُيودِ فوضَعُوا في رِقَبَةِ كُلِّ منا قِيداً ، وأنا صامتٌ لا أَتكلَّمُ ،



حتى قادونا إلى الخليفة ، فأمر بضرب رقاب العشرة ، فأخذهم
 السيف وضرب رقابهم واحدا وراء الآخر ، وأنا واقف بعيدا ..
 فنظر الخليفة نحوي وقال للسيف : أظنك نسيت أن تضرب
 رقبة العاشر ، فأقسم له السيف أنه ضرب رقاب عشرة ، وعندما
 عدوهم وجدوهم عشرة ، فعرفوا أنني لست منهم ..
 فنظر إلى الخليفة متعجبا وقال : لماذا جئت مع هؤلاء المجرمين ؟
 ولماذا سكنت عن الكلام ، حتى كنت تهلك معهم ؟

فَقُلْتُ لَهُ : اَعْلَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنِّي الشَّيْخُ الصَّامِتُ قَلِيلُ
 الْكَلَامِ ، وَأَنَّنِي حَل_اقٌ ، وَلَوْ كُنْتُ ثَرْتَارًا كَثِيرَ الْكَلَامِ - كَمَا يَرْعُمُ
 النَّاسُ - لَتَكَلَّمْتُ وَقُلْتُ إِنِّي رَكِبْتُ الزُّورَقَ مَعَ هَؤُلَاءِ الْأَشْرَارِ
 الْمُجْرِمِينَ ، وَأَنَا أَعْتَقِدُ أَنَّهُمْ ذَاهِيُونَ إِلَى وَلِيَّةٍ .. فَلَمْ رَأَيْتُ
 الْحِرَاسَ يَضَعُونَ الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِهِمْ مَنَعَتْنِي مُرُوعَتِي مِنَ الْكَلَامِ ،
 وَذَكَرَ الْحَقِيقَةَ ، حَتَّى كَدْتُ أَشَارِكَهُمْ فِي الْقَتْلِ وَأَمُوتَ مَعَهُمْ ..
 فَلَمَّا سَمِعَ الْخَلِيفَةُ كَلَامِي ، وَعَلِمَ مُرُوعَتِي ، وَأَنَّنِي لَسْتُ ثَرْتَارًا
 وَلَا كَثِيرَ الْكَلَامِ - كَمَا يَرْعُمُ هَذَا الشَّابُّ - قَالَ لِي : وَهَلْ كُلُّ
 إِخْوَتِكَ السَّنَةِ مِثْلَكَ قَلِيلُ الْكَلَامِ ؟

فَقُلْتُ لَهُ : لَا .. لَا عَاشُوا ، وَلَا بَقُوا إِنْ كَانُوا مِثْلِي ..
 لَقَدْ أَصْبَحَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بَعَاهَةً مِنْ كَثْرَةِ قُضُولِهِمْ وَثَرْتَرَتِهِمْ ..
 فَأَحَدُهُمْ أَعُورٌ ، وَالْآخَرُ أَعْرَجٌ ، وَالثَّالِثُ أَحُولٌ وَالرَّابِعُ أَعْمَى ،
 وَالْخَامِسُ مَقْطُوعُ الْأُذُنَيْنِ وَالْأَنْفِ ، وَالسَّادِسُ مَقْطُوعُ الشَّفَتَيْنِ ..
 وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ حِكَايَةٌ هِيَ الَّتِي جَعَلَتْهُ بَعَاهَةً مُسْتَدِيمَةً ..
 فَلَمَّا سَمِعَ الْخَلِيفَةُ مِثْلَ ذَلِكَ أَصْرًا عَلَى أَنْ أَحْكِيَ لَهُ حِكَايَةَ كُلِّ
 وَاحِدٍ مِنْ إِخْوَتِي ..